مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 08 عدد: 02 السنة 2022 E-ISSN:2588-2325

إسهامات ابن خلدون في إثراء المفاهيم الأنثروبولوجية في المقدمة

Ibn khaldun's Contributions To Enriching Antropological Concepts In Muqaddimah

نصر الدين بن عودة*، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، nacerbena12@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/07/18 تاريخ القبول: 2022/12/22 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

يعتبر ابن خلدون من أعظم علماء الاجتماع الذين وضعوا الخطوط العريضة للأسس الأساسية لعلم الحضارة، والذي أسماه "علم التحضر البشري" في المقدمة، يدرس بشكل أساسي المشكلات الأساسية لإثراء المفاهيم الأنثروبولوجية. علاوة على ذلك، هناك العديد من الدراسات بلغات مختلفة حول فلسفته التاريخية والنظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتظل الدراسات الجديدة تظهر من وقت لآخر حول أهمية آرائه ونظرياته. تهدف هذه الدراسة إلى تحديد كيفية تعامله مع النظم الاجتماعية، وما هي مساهماته في إثراء المفاهيم الأنثروبولوجية (القرابة، والسياسة، والدين). على الرغم من القضايا التي أثارها في كتابه (المقدمة)، وهو المرجع الرئيسي لكثير من الأنثروبولوجيا البريطانية على وجه الخصوص في دراساتهم حول العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية.

حيث اعتبر الفرق بين البشر في ألوانهم ومزاجهم النفسي وصفاتهم الجسدية والمعنوية، بسبب البيئة الجغرافية التي اعتبرت أيضًا عاملاً مهمًا في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات البشرية. وعليه، ما هو تأثير ابن خلدون على الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة؟

الكلمات المفتاحية: ابن خلدون، الانثروبولوجيا، النسق القرابي، النسق السياسي، النسق الديني.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Ibn Khaldun is considered one of the greatest social scientists who outlined the basic foundations of the science of civilization, which he called "the science of human urbanization." In the Muqaddimah, he mainly studies the basic problems of enriching anthropological concepts. Moreover, there are many studies in different languages on his historical philosophy, social, political, and economic theories, and new studies keep appearing from time to time on the importance of his views and theories. This study aims to determine how he deals with social systems, and what are his contributions to enriching anthropological concepts (kinship, politics, and religion). Despite the issues, he raised in his book (The Muqaddimah), which is the main reference for many British anthropologists in particular, in their studies of the relationship between geographical environment and social phenomena. Where he considered the difference between humans in their colors, psychological temperament, and physical and moral qualities, due to the geographical environment, which was also considered an important factor in determining the civilized level of human societies. Accordingly, what is the impact of IbnKhaldun on modern anthropological studies**?**

Keywords: Ibn Khaldun; anthropology; the Kinship system; the political system ,the religious system.

مقدمة :

يتناول ابن خلدون في "المقدمة " القرابة والسياسة والدين معالجة انثروبولوجية اجتماعية، ودراسته للعصبية وعلاقتها بالنسق السياسي تدخل في مجال الانثروبولوجية الحضرية. إن العمل الذي قام به ابن خلدون في المقدمة ومعالجته للعصبية والسياسة والدين له علاقة بالانثروبولوجيا الاجتماعية و قد اقتبسه W.Robertson Smith الذي كان له دور في الانثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، وانتقل إلى غيره من الانثروبولوجيين البريطانيين ليعتمدوا عليه في دراساتهم وبخاصة ايفانز بريتشارد Evans Pritchard، وعليه؛ إلى أي مدى قد أثر ابن خلدون في إثراء المفاهيم الانثروبولوجية ؟

1. دراسة النسق القرابي عند ابن خلدون وعلاقته بالانثروبولوجيا:

إن نسق القرابة الذي درسه ابن خلدون من المسائل التي تدخل في نطاق اهتمام الانثروبولوجي، فكان أول إطار نظري كتب عن القرابة في تاريخ التفكير السوسيولوجي والانثروبولوجي، لأن مثل هذه النظرية لم تعرف حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد نقلها عنه "روبرتسون سميث "في كتابيه "الدين عند الساميين "، و "القرابة و الزواج في بلاد العرب "، ثم نقلت إلى علماء الانثروبولوجيا البريطانيين الذين اهتموا بدراسة انساق القرابة في العالم العربي وإفريقيا، فقد كان لـ" سميث" تأثير في الانثروبولوجيا الاجتماعية (زيد، 1967، ص 275)

وفي شرح ابن خلدون مفهومه للعصبة يبين أن العصبية نزعة طبيعية في البشر وأنها تتولد من النسب والقرابة، وتتوقف درجة قوتها أو ضعفها على درجة قرب النسب أو بعده، ثم يتجاوز مفهوم نطاق القرابة الضيقة المتمثلة في العائلة ويبين أن درجة النسب قد تكون في الولاء للقبيلة؛ وهي العصبية القبلية. (حامد، 1998، ص 50)

عالج ابن خلدون القرابة معتمدا على المادة الاثنوجرافية التي جمعها عن طريق الملاحظة والمصادر الأساسية للتاريخ والتراث العربي الإسلامي، بينما "روبرتسون سميث" يلجأ إلى التخمينات و التأويلات، واتجه "ايفانز بريتشارد" في دراسته " للنوير" في نفس الاتجاه الذي سار عليه ابن خلدون في اهتمامه بالانقسام و الالتحام في المقدمة.

درس ابن خلدون نسق القرابة في المجتمع البدوي والمجتمع الحضري عند معالجته للعصبية التي تتخذ عنده مفهوما انثروبولوجيا خاصا، وهي ما تعرف بالعصبة وهي خاصية الانقسام والالتحام وتتم نتيجة للظروف البيئية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ويقصد ابن خلدون بالانقسام والالتحام أنها عملية التحام العصبات وتكتلها وتنظيمها لغرض تحقيق القوة السياسية؛ اذ يقول " فالعصبة إنما تكون بالنسب أو ما في معناه "ويقول "إن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب ". (حامد، 1998، ص 87)

إن العصبية التي يقصدها ابن خلدون هي التضامن و الولاء القبلي أو الحس المجتمعي، كما تعني الأفراد الذين تجمع بينهم رابطة الدم أو رابطة الحلف أو الولاء، وهم يتعصبون لبعضهم حينما يكون داع للتعصب، ويشعر الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبيته، وفي هذه الحالة يفقد شخصيته الفردية، بحيث تذوب في شخصية الجماعة، وهو شعور جماعي مشترك لدى أفراد العصبية. (حامد، 1998، ص 50)

لقد استحوذت فكرة العصبية على فكر ابن خلدون فقد ذكرها في أكثر من اثنا عشر فصلا، وهو في ذلك يقوم بالربط بينها و بين الملك، والرياسة، والنسب، والقبيلة، والدولة والدعوة الدينية، كل ذلك من أجل ترسيخ هذه النظرية التي جعلها ابن خلدون هي المحور الأساسي في نظرية العمران

الذي أسسه واستحدثه، فنراه يصرح بأن "الملك والدولة إنما يحصلان بالقبيلة والعصبية، وأن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك". (وافي، 1965، ص 112)

ورغم أن ابن خلدون لم يضع تعريفا مستقلا للعصبية إلا أنه اكتفى بذكر منشأها وغايتها ودورها في تطور المجتمع الإنساني، مما يذكره ابن خلدون حول العصبية قوله" أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم". (وافي، 1965، ص 128)

2.دراسة النسق السياسي عند ابن خلدون وعلاقته بالانثروبولوجيا:

1.2. علم العمران البشري وعلاقته بالأنثروبولوجيا السياسية:

إن علم العمران البشري والاجتماع الإنساني، كما ذكره ابن خلدون في مقدمته، عبارة عن أنثروبولوجيا سياسية، وأن هذا العلم يندرج ضمن ما نطلق عليه اليوم الدراسات الأنثروبولوجية السياسية.

إذا كانت الأنثروبولوجيا السياسية بمفهومها الحديث لم تتأكد كتخصص إلا في الأربعينات من هذا القرن، على يد الأنثروبولوجيين الإنجليز الذين حددوا لها هدفا هو تحليل ظاهرة الدولة و دراسة التنظيمات السياسية التي تضمن الحكم ونظم الأفكار التي ترسي قواعد السلطة السياسية، و تمنحها الشرعية .(C, 1999, page 96) ولقد أشار محمد عزيز الحبابي إلى " شمولية علم العمران البشري والاجتماع الإنساني وأنه في نظره، ليس بالسوسيولوجيا الضيقة، ولكنه الأنثروبولوجيا الواسعة المحتوية على كل الحياة الإنسانية السائرة حسب قوانين بدأت تكتشف من خلال عملية التكامل بين مختلف العلوم الإنسانية " (مزيان، 1988، ص 11).

إن التقدم الذي حققه فكر ابن خلدون السوسيولوجي هو تقدم نحو تكوين انثروبولوجيا اجتماعية شاملة، متسعة لكل العلوم الاجتماعية ومهيأة لاستيعاب النتائج الجديدة . (نصيف، 1994، ص 283) ومنه يستنتج أن الأنثروبولوجيا تركز اهتمامها على الإنسان وتحاول فهم الظواهر التي تؤثر فيه، فإن علم العمران البشري يعكس هذا الاهتمام، ذلك أن الإنسان في فكر ابن خلدون كائن طبيعي اجتماعي تاريخي، تصح دراسته موضوعيا في جميع جوانب حياته الاجتماعية التاريخية، من الجانب الاقتصادي حتى الجانب الديني، مرورا بجوانب السياسة والأخلاق .(نصيف، 1994، ص 284)

2.2.القرابة والسلطة السياسية:

تظهر العلاقة بين القرابة والسلطة منذ اللحظة التي يبدأ فيها تعصب الجماعة القبلية لدفع خطر خارجي يهددها؛ أو لجلب منفعة من الغير بالهجوم والمطالبة، ويكون التحام أفراد القبيلة أولا على مستوى القرابات التي تكونها ذلك "...إن صلة الرحم طبيعي في البشر، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو يصيبهم هلكة، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم

قريبه أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا". (الجابري، 1994، ص 287)

3.2. العصبية والرئاسة:

2. 3. 1.شروط لا بد من تو افرها في من يتولى الرئاسة

إن ابن خلدون ينطلق في نظريته في العصبية، من اجتماعية الإنسان من جهة والطبع العدواني الذي في البشر من جهة ثانية، وأشار إلى أن حالات العدوان أربع:

إما عدوان الأفراد بعضهم على بعض داخل المدينة، أو عدوان واقع عليها من الخارج، وإما عدوان الجماعات البدوية بعضها ضد بعض وهذا ما تدفعه العصبية يبقى أخيرا العدوان الذي يقع بين الأفراد داخل أحياء البدو، ويدفعه مشايخهم وكبرائهم لما وقر في نفوس الكافة لهم من وقار. فمن أين يستمد الشيوخ والكبراء ذلك الوقار أو تلك السلطة؟ وبعبارة أخرى ما هي الشروط والمؤهلات التي تمكن الشخص في المجتمع العصبي من الرئاسة؟

حسب ابن خلدون هناك ثلاثة مؤهلات أو شروط لا بد من توافرها في من يتولى الرئاسة في المجتمع القبلي وهي:

أ- **النسب الصريح:**

إذ يقول "إن الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم " (وافي، 1965، ص 429)، وذلك لأن العصبة قد تضم أفرادا آخرين لا تربطهم بها قرابة الدم، بل تشدهم إليها روابط أخرى كالحلف والولاء والجوار.

ب- الشرف والحسب:

أي الرئاسة الخاصة رئاسة شيوخ القوم على ذويهم وعشيرتهم، أن يكون الشخص المؤهل للرئاسة على العصبة من "قوم أهل بيت فيها "ومعنى البيت أن يعد الرجل في أبائه إشرافا مذكورين، تكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تحله في أهل جلدته (وافي، 1965، ص 431).

وحسب ابن خلدون إن الرئاسة الحاصلة بالشرف والحسب هي رئاسة معنوية أكثر منها سلطة قاهرة؛ إذ يقول: "إن الرئاسة إنما هي سؤدد، وصاحبها متبوع، وليس لهم عليهم قهر في أحكامه" . (وافي، 1965، ص 439)

ج - **الغلب:**

أما الرئاسة العامة وهي التي يجري مفعولها على العصبات المترابطة بالنسب العام، فلا بد من إضافة عنصر أخر هو الغلب "لابد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحست يغلب عصبية الرئيس لهم، أقروا بالإذعان و الإتباع" .(وافي، 1965، ص 439)

2. 3. 2.من الرئاسة إلى الملك:

ويشير ابن خلدون إلى أن الطريق من الرئاسة إلى الملك طريق ممهد، إلا انه قد يؤدي أحيانا إلى "الملك على الحقيقة وهو يستبعد الرعية ويجبي الأموال ويبعث البعوث، ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة"، (وافي، 1965، ص 504) وأحيانا أخرى يؤدي فقط إلى "الملك الأصغر"، وهو "ملك أخر دون ملك المستبد"، يقتصر فيه صاحبه على مشاركة أهل الدولة "في النعيم والكسب وخصب العيش و السكون في ظل الدولة إلى الراحة والأخذ بمذاهب الملك في المباني و الملابس..." (وافي، 1965، ص 441)

يشرح ابن خلدون مراحل هذا الطريق بعبارات واضحة فيقول: "ثم إذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها، فإن كافتها أو مانعتها كانوا أقتالا وأنظارا، ولكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها، شأن القبائل والأمم المتفرقة في العالم، وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا، وزادت قوة في التغلب إلى قوتها..."، ولا يرى ابن خلدون أن هناك دافعا لهذا التوسع خارج العصبية نفسها، فالعصبية بطبعها تسعى إلى التغلب على العصبيات الأخرى وإدراجها تحت لوائها. (وافي، 1965، ص 480)

2. 3. 3.فساد العصبية

يصنف ابن خلدون العوامل التي تعوق العصبية عن تحقيق الملك إلى قسمين:

أ- لا عصبية مع الخضوع والانقياد:

يرى ابن خلدون أن من "عوائق الملك حصول المذلة للقبيلة والانقياد إلى سواهم"، ويشرح ذلك بكون "المذلة والانقياد كاسران لصورة العصبية وشدتها، فإن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها، فما رأوا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة، "وهذا يعني أن العصبية مرتبطة بهدف الحصول على مستوى أحسن من العيش، ومن ثمة تكون الغاية من العصبية ليس هي الملك في ذاته، بل من أجل أنه "يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية". (وافي، 1965، ص 461)

ب - لا عصبية بين الترف والنعيم:

كما تفسد العصبية بـ "حصول الترف أو انغماس القبيل في النعيم"، لأنه "تذهب خشونة البداوة، تضعف العصبية والبسالة ". (وافي، 1965، ص 441)

2. 3. 4.العصبية وهرم الدولة:

يقصد ابن خلدون بهرم الدولة تلك المرحلة التي تفسد فيها العصبية الحاكمة، فيلجأ الملك إلى الاستعانة بالموالي والمصطنعين والمرتزقة، والالتجاء إلى الضرائب والمصادرات لتغطية نفقاته ونفقات حاشيته التي أفسدها الترف، وأعطيات جنوده الذين يشتطون في الطلب لعلمهم بحاجة

الملك إليهم، أن ظروف هرم الدولة يرافقها دوما إرهاق الفلاحين فيشقون عصا الطاعة، إما بالفرار، وإما بإعلان العصيان. وفي كلتا الحالتين تستيقظ عصبياتهم وتتوحد ضد عصبية الحاكم فيقومون بالثورة عليه أو بمناصرة خصومه من أهل عصبيته المصابين بالعرش. (الجابري، 1994، ص 190)

4.2. العصبية والسلطة:

انطلاقا من نظريته المتعلقة بدور العصبية في الوصول إلى الرئاسة في المجتمع البدوي، واصل ابن خلدون تحليله على نفس النسق فيما يتعلق بالسلطة في المجتمع الحضري مبينا أن العصبية الخاصة بعد استيلائها على الرئاسة تطمح إلى ما هو أكثر، أي إلى فرض سيادتها على قبائل أخرى بالقوة، وعن طريق الحروب والتغلب للوصول إلى مرحلة الملك فيقول: "... وهذا التغلب هو الملك، وهو أمر زائد على الرئاسة...، فهو التغلب والحكم بالقهر، وصاحب العصبية إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها" معتمدا في تحقيق ذلك أساسا على العصبية، فهذه إذن المرحلة الأولى في تأسيس الملك أو الدولة، وهي مرحلة لا تتم إلا من خلال العصبية .(حامد، 1998، ص 56)

بالوصول إلى تلك المرحلة يبدأ العمران الحضري شيئا فشيئا، وتصبح السلطة الجديدة تفكر في تدعيم وضعها آخذة بعين الاعتبار جميع العصبيات التابعة لها، وبذلك فإنها لم تعد تعتمد على عامل النسب بل على عوامل اجتماعية وأخلاقية جديدة، هنا تدخل الدولة في صراع مع عصبيتها، لأن وجودها أصبح يتنافى عمليا مع وجود تلك العصبية التي كانت في بداية الأمر سببا في قيامها، بذلك تتوسع قاعدة الملك ويصبح الحاكم أغنى وأقوى من ذي قبل، بفضل توسع قاعدة الضرائب من ناحية، والأموال التي تدرها الصناعات الحرفية التي تنتعش وتزدهر في مرحلة العمران الحضري من ناحية أخرى، لتدعيم ملكه يلجأ إلى تعويض القوة العسكرية التي كانت تقدمها له العصبية الخاصة أو العامة(القبيلة) بإنشاء جيش من خارج عصبيته، وحتى من عناصر أجنبية عن قومه، وهكذا تبلغ الدولة الجديدة قمة مجدها في تلك المرحلة، ثم تأخذ في الانحدار، حيث أن المال يبدأ في النفاذ شيئا فشيئا بسبب كثرة الإنفاق على ملذات الحياة والترف وعلى الجيوش ومختلف الموظفين الذين يعتمد عليهما الحكم، وبذلك يكون الحكم قد دخل مرحلة بداية النهاية، أي مرحلة الهرم التي ستنتهي حتما بزواله وقيام ملك جديد يمر بنفس الأطوار السابقة. (ببلي، 1999، ص 132)

وحدد ابن خلدون مفهوم الدولة هي الامتداد المكاني و الزماني لحكم عصبية ما :

أ- **فإذا نظر ابن خلدون إلى الدولة من الناحية الأفقية** أي من حيث حكم العصبية الغالبة في المكان وجدها نوعين من الدولة:

- **الدولة الأولى:** دولة خاصة "وهي الدولة القائمة على أساس العصبية الخاصة أي العصبية للقبيلة أو مجموعة القبائل من أصل واحد" أقرباء بالنسب" .

- **الدولة الثانية**: والقائمة على أساس ديني وهي أقوى من الدولة الخاصة لأنها تجمع في قوتها قوة العصبية وقوة الدعوة الدينية.

ب- **أما إذا نظر إلى الدولة من الناحية العمودية** أي من حيث استمرار حكم العصبية الغالبة في الزمان، فهو يصنفها إلى صنفين :

- دولة شخصية: وهي حكم شخص واحد من أهل العصبية صاحبة الملك والرئاسة، مثل دولة معاوية آو دولة هرقل أو دولة المأمون وهي محدودة زمنيا بمدة حكم هذا الشخص.
- الدولة الكلية: وهي مجموع الدول الشخصية التي ينتمي أصحابها إلى عصبية واحدة، وبعبارة أخرى إنها مدة حكم عصبية ما كالدولة الأموية آو العباسية .(الجابري، 1994، ص 212)

و هكذا فالدولة تختار ثلاثة أطوار رئيسية:

أ- طور التأسيس والبناء: يتميز بالخصائص التالية:

- نظام المشاركة والمساهمة و التسيير الجماعي في إطار العصبية الحاكمة؛
- سلو ك سياسة كسب القلوب وإنزال الناس منازلهم وهذا يضمن للدولة ولاء مختلف الفئات؛
- الاقتصاد في النفاقات وعدم الغلو في فرض الضرائب الجبايات، وهذا يؤدي إلى خلق جو الاطمئنان ويزداد ولاء الرعية للدولة.

ب – طور العظمة والمجد: يتميز هذا الطور بخصائص ثلاث:

- البدأ في الانتقال من البداوة إلى الحضارة أي من حياة البساطة والاقتصار على الضروري من العيش، إلى حياة الرفاهية والتفنن في الترف؛
- ظهور المصالح الخاصة فتقف حركة الغزو وتوسيع نطاق الدولة وينصرف أهل العصبية الحاكمة إلى التنافس و الصراع من اجل استغلال ثمرات الملك؛
- صاحب الدولة يستغني عن عصبيته ويعتمد على عصبية الموالي والمصطنعين له فيحتاج إلى أموال كثيرة يسد بها نفقات هؤلاء المرتزقة المدافعين عنه

ج- طور الهرم والاضمحلال:

يقصد بها ابن خلدون ضعف السلطة، ونشوب أزمة اقتصادية ولا يعني مرحلة الهرم زوال الدولة احتمال: تفكك عصبية الأسرة الحاكمة لا يستلزم حتما انهيار الدولة لأنه قد يستغني عن قوة العصائب وتصبح الدولة عبارة عن سلطان ورعية؛

- تنشب حرب أهلية نتيجة وجود عصبيات قوية تريد الاستيلاء على السلطة، وقد تنقسم الدولة إلى دولتين وعدة دول، وقد يتمكنون من القضاء عليها دفعة واحدة؛
- وقد تحدث حالة أخرى حالة انتقال السلطة الفعلية إلى بطانة صاحب الدولة من الموالي والمصطنعين واحتفاظه هو بالسلطة الاسمية فقط. (الجابري، 1994، ص ص 221-227)

3. دراسة النسق الديني عند ابن خلدون وعلاقته بالانثروبولوجيا

يهتم ابن خلدون في دراسته للدين بالسلوك الديني أو الممارسات، ولأن " المقدمة" هي دراسة في الانثروبولوجيا السياسية، رغم انه تأثر بالإسلام في بعض الدراسات التي آجراها، ولكن لم يؤد به ذلك إلى أن يفتقد النزعة العلمية، فقد اهتم في مقدمته بدور الدين في الحياة السياسية، وهذا هو الاتجاه الحديث في الانثروبولوجيا الدينية، حيث يهتمون بالممارسات الدينية. وقد اقتبس" سميث" منظور ابن خلدون في دراسة الدين في الفصل الأول من كتابه" الدين عند الساميين"، حيث يفرق بين المعتقدات الدينية والممارسات الدينية، ويؤكد على دراسة الدين على أنه يمثل نظاما اجتماعيا، وان يكون التركيز على الشعائر والممارسات الفعلية.

هكذا يمكننا أن نستنتج مدى تأثير ابن خلدون في الدراسات الانثروبولوجية الحديثة، فابن خلدون يفرق بين السياسة العقلية والسياسة الشرعية.

أ- **السياسة العقلية:**

وهي قوانين سياسية مفروضة من أكابر الدولة؛ "يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم"، وهي سياسة مبنية على الحكمة والتي يراعي فيها مصالح العامة وتكون مصالح السلطان تابع لها، وإما أن تقوم أساسا من أجل مصالح السلطان وتثبيت حكمه، فتكون استبدادا وتحكما.

ب- السياسة الدينية:

وهي قوانين مفروضة من الله، وعليه يعتبر الدين أحد نظم الضبط الاجتماعي، إذ أن القواعد العامة في القرآن لا تضبط ولا تحكم العبادات فحسب؛ وإنما تحكم أيضا الشؤون التشريعية والاجتماعية والسياسية؛ "سياسة مستندة" إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه". (الجابري، 1994، ص 198)

كما يمكن القول أن دراسة ابن خلدون للدين هي دراسة في الاثروبولوجيا الاجتماعية، ولم تكن دراسة في الإسلام، وفي هذا الصدد يقول"Gibb" إن ابن خلدون لا يهتم في كتاباته بالدين(ويقصد الإسلام)، وإنما يهتم بالدور الذي يلعبه الدين في تطور التاريخ، إذ أن الدولة هي محور اهتمامه لأنها محور دراساته، "لقد حاول التوفيق بين الدين و السياسة:. (نصيف، 1994، ص 279)

3. 1 . القضايا الدينية والعلوم الدينية:

تطرق في المجال الديني في مقدمته إلى مجموعة من القضايا الدينية والعلوم الدينية، وقد عكست أفكار ابن خلدون وآرائه باعتماده على الأصول الإسلامية كالقرآن والسنة والسيرة النبوية:

أ- القضايا الدينية: تحدث في المقدمة على عدة قضايا دينية منها: (الدرويش، 2004، ص ص 201-391)

- الإيمان بالغيب و الوحي و النبوة ؛الخلافة و الإمامة؛
-البيعة وولاية العهد؛
-الدين واللغة؛
-الدين والدولة.

ب- العلوم الدينية: خصص لها ابن خلدون فصولا منها:

- علوم القران؛
- علم التفسير؛
- علوم الحديث؛
- علم الفقه؛
- علم أصول الفقه.

3. 2. العصبية والدعوة الدينية:

يرى ابن خلدون أن العلاقات العصبية عند البدو، لا يمكنها أن تتطور إلى عصبية عامة تستهويها الحضارة وسكنى المدن وسلطة الملك وثمراته، إلا إذا تبدلت أحوالهم لابد إذن من عامل يذهب عنهم الغلظة والأنفة ويزغهم عن التحاسد، والتنافس هو عامل الدين أو على الأصح الدعوة الدينية، سواء كانت نبوة أو رسالة أو دعوة إصلاحية تعتمد في نشاطها على مبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". (الجابري، 1994، ص 188).

إن مفهوم الدعوة الدينية في هذا الصنف من البدو مزدوج، فمن جهة يعمل الدين على "جمع القلوب و تأليفها " ومتى تم ذلك ذهب التنافس، وقل الخلاف، وحسن التعاون والتعاضد، وتحققت الوحدة الكبرى، ومن جهة ثانية فان الدعوة الدينية تصرف "طبيعتهم العدوانية "التي تتجسم في حياة الغزو و النهب إلى الجهاد من أجل نشر الدين و تعاليمه، وهكذا "فإذا قام فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على أمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، ثم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب و الملك". (وافي، 1965، ص 456).

وهكذا، فالعصبية التي كانت من قبل مفرقة، أصبحت وبالدين، عصبية جامعة، والحروب و الغزوات التي كانت تنهك باستمرار بأن هذا المجتمع العصبي المتنقل، أصبحت بتأثير الدعوة الدينية فتحا للبلدان واستتباعا للأمم. إن الدين لا يقضي على العصبية بل ينقلها من إطار ضيق إلى إطار أوسع من التعصب للنسب الخاص إلى التعصب للنسب العام وعقيدته الدينية التي جعلت منه "خير امة أخرجت للناس"، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر "الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم". (وافي، 1965، ص 468) أي أن الدين يستمد قوته على جمع القلوب وتوحيد الصفوف من خلال العصبية "، إن العلاقة بين العصبية والدين كما يفهمها ابن خلدون، علاقة تآزر وتعاضد وتكامل فالدين يزيد

من قوة العصبية بالتخفيف من مظاهر التعصب، كالأنانية والاعتداد بالأنساب، وذلك بتوجيه أهل العصبية كلهم إلى الله، أي إلى العمل الصالح والعصبية من جهتها تمنح الدعوة قوة وفاعلية. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد له حمل الناس بالقهر والسلطان وهذا لا يتم إلا بالغلب والعصبية.

ابن خلدون يرى أن تغيير الأوضاع الفاسدة لا يتأتى بمجرد الدعوى إلى أوضاع أحسن، بل لا بد من قوة مادية تنصر هذه الدعوة وهي العصبية. (الجابري، 1994، ص 189)، كما عالج ابن خلدون في موضوع الدين جوانب أخرى منها: (وافي، 1965، ص ص 636-638)

- يساعد على تحقيق التماسك الاجتماعي وتدعيمه؛

الدين يضفي قوة للعصبية ويعم سلطتها السياسية؛

العصبية ضرورية لأنها تلعب دورا هاما في تدعيم دور الدعوة الدينية؛

إن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم.

وهكذا استطاع ابن خلدون أن يضع نظرية عامة في الدين لا تختلف عن النظرية الوظيفية عند الانثروبولوجيين المحدثين.

خاتمة:

حاولت هذه الدراسة التعرف على المفاهيم الخلدونية، وقد ظهر من خلال تناولنا أفكار ابن خلدون كما طرحها في أبواب وفصول المقدمة، أن مفاهيمه التي وضعها هي نفسها المفاهيم والمصطلحات التي تستخدم اليوم في دراسات الانثروبولوجيا، وعلم الاجتماع الحديث بكافة ميادينه.

وتبين لنا كيف عالج ابن خلدون النظم الاجتماعية، القرابة والسياسة والدين، كما يعالجها الأنثروبولوجيا المحدثون، فقد بين التساند بين النسق القرابي والنسق الديني والنسق السياسي دون أن يغفل عن الظروف الايكولوجية والديمغرافية، وأسلوب المعيشة الذي اتخذه معيارا لتصنيف المجتمعات فوضع بناءا نظريا انتقل إلى الانثروبولوجيا الاجتماعية، وقد درس نسق القرابة عند معالجته للعصبية التي تتخذ عنده مفهوما انثروبولوجيا خاصا، واهتم بالممارسات الدينية أو الشعائر و الطقوس الدينية، وهذا هو الاتجاه الحديث في الانثروبولوجيا الدينية، وهكذا يمكننا أن ندرك مدى تأثير ابن خلدون في الدراسات الانثروبولوجية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

أحمد أبو زيد. (1967). *البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع*. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

أحمد ببلي. (1999). *تاريخ الفكر الاجتماعي*. القاهرة: مكتبة الانجلو مصرية.

الدرويش عبد الله. (2004). *المقدمة*. د ب: دار يعرب.

السيد حامد. (1998). *القرابة البدوية العربية قراءة انثروبولوجية لمقدمة ابن خلدون*.

عبد المجيد مزيان. (1988). *النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

علي عبد الواحد وافي. (1965). *المقدمة* (الإصدار 2). القاهرة: لنة البيان العربي.

محمد عابد الجابري. (1994). *فكر ابن خلدون:العصبية و الدولة- معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

نصار نصيف. (1994). *الفكر الواقعي عند ابن خلدون*. بيروت: دار الطليعة.

Rivière C .(1999). *Introduction à l'anthropologie* (الإصدار 2). Paris: Hachette.